Quarterly Research Journal of Arabic
ALOROOBA
العروبة
ISSN (Print): 2710-5172
ISSN (Online): 2710-5180

***Volume**: 4* ***Issue**: 1 (Jan – March 2023)*
Alorooba Research Journal
***ISSN (Print):** 2710-5172* ***ISSN (Online):** 2710-5180*
***HJRS**: https://hjrs.hec.gov.pk/index.php?r=site%2Fresult&id=1021427#journal_result*
***Issue URL**: https://www.alorooba.org/ojs/index.php/journal/issue/view/10*
***Article URL**: https://www.alorooba.org/ojs/index.php/journal/article/view/53*

***Title**:* الاتجاه الاجتماعي في الأدب القصصي المهجري "لقاء" و"مرداد" لميخائيل نعيمة أنموذجاً

The Social Trends in the Fictional Literature in the View of Mikhail Naimy's "liqa" & "Mirdad"

***Authors**:* ***Wajiha Bashir** (Mphil Arabic, NUML – Islamabad)*
E-mail: wajehaawan@gmail.com
Orcid: https://orcid.org/0009-0005-0580-8089

***Dr. Amin Ali** (PhD Arabic, NUML - Islamabad)*
E-mail: alimudassir1984@gmail.com
Orcid: https://orcid.org/0000-0001-7543-9489

***Indexation**: ISSN, DRJI, Euro Pub, Academia, Google Scholar, Asian Research Index, Index Copernicus International, index of urdu journals.*

***Citation**:* *Wajiha Bashir, & Dr. Amin Ali. (2022). The Social Trends in the Fictional Literature in the View of Mikhail Naimy's "liqa" & "Mirdad": الاتجاه الاجتماعي في الأدب القصصي المهجري "لقاء" و"مرداد" لميخائيل نعيمة أنموذجاً. Alorooba Research Journal, 4(1), ٢٩–٤٥. Retrieved from https://www.alorooba.org/ojs/index.php/journal/article/view/53*

***Published:** 2023-02-20*
***Publisher**: Alorooba Academic Services SMC-Private Limited Islamabad-Pakistan*

الاتجاه الاجتماعي في الأدب القصصي المهجري "لقاء" و"مرداد" لميخائيل نعيمة أنموذجاً

The Social Trends in the Fictional Literature in the View of Mikhail Naimy's "liqa" & "Mirdad"

Wajiha Bashir
Mphil Arabic, NUML - Islamabad
E-mail: wajehaawan@gmail.com Orcid: https://orcid.org/0009-0005-0580-8089

Dr. Amin Ali
PhD Arabic, NUML - Islamabad
E-mail: alimudassir1984@gmail.com orcid: https://orcid.org/0000-0001-7543-9489

Abstract

In multiple respects, Mikhail Naimy is a unique Arab writer. Because of his education in Russian schools in Lebanon and Palestine, and later in Tsarist Russia he became so familiar with Russian language and literature that he began to write poetry in Russian language. After immigrating to the United States, he graduated from the University of Washington with degrees in Arts and Law. He lived in the United States for more than twenty years. There he developed an interest in Anglo-Saxon Literature. His poems in English were published in several American periodicals and newspapers, including The New York Times.

In his writings, Naimy critiques the western civilization's materialistic attitude towards life. His ideas, which stem from observations regarding spirituality and faith influenced a large number of young people in the Arab world. His early education and later academic endeavors allowed him to become equally familiar with Eastern and Western civilizations and his thought processes developed as a result of this amalgamation. Modern Arabic literature academics widely recognise that Naimy's views on the meanings and aims of literature account for a revolution in literary thinking in the Arab world.

The characteristic features of Naimy's fiction include the dominant socio-cultural inclinations of his time, realism and striking humanism, and love and compassion of the human soul. In vividly portraying the everyday life of people, their troubles and needs, and the injustice of social hierarchies, he created a persuasive archetype of the Arab laborer.

In doing so his literary ideas revolved around concerns such as morals in human relationships and the psychology of common people in relation to the social worlds they inhabit.

His most successful Arabic works in the various literary genres are as follows: Novel: Mudhakkirat al Arqash; Short story: Kan ma Kan, Akabir, Sanatuha al-jadidah; Abu Batta; Criticism and biography: Al-Ghirbal, Jibran Khalil Jibran; Poetry: Hams al-jufun; Drama: Al-aaba wal-Banun; Autobiography: Sab unhikayatumr; English work: The Book of Mirdad.

Keywords: *Mikhail Naimy, New Arabic Trends, Immigrant Literature, Fictional Literature.*

مقدمة

ميخائيل نعيمة من أبرز أدباء المهجر، ومن قادة النهضة الثقافية والفكرية في المنطقة العربية، وله العديد من المؤلفات باللغة العربية والإنجليزية والروسية، وله اطلاعٌ واسعٌ على الثقافات الغربية وخاصّةً الروسيّة والأمريكية، وتميّز أسلوبه بالميل إلى وصف الأحداث والسرد بعيداً عن الزخرفة، وتميزت كتاباته بالإيجابية والتفاؤل والبساطة والوضوح والصراحة والقدرة على النقاش والإقناع، والبعد بشكلٍ واضح عن الطائفية والعنصرية، في بلد اتّسم بتعدد الأعراق والثقافات والديانات.

ولا شك أن جزءا من أدب ميخائيل نعيمة يصنف ضمن أدب المهجر، وهو الأدب العربي الذي أنتجه المهاجرون العرب من المشرق –لا سيّما من سوريا ولبنان– إلى الأمريكتين الجنوبية والشمالية، ولذا أطلق على نتاجهم الأدبي (أدب المهجر الشمالي وأدب المهجر الجنوبي)، وقد امتاز هذا الأدب بخصائص منفردة عن غيره من حيث الأسلوب والعاطفة والأفكار.

تتضمن المؤلفات القصصية لميخائيل نعيمة الكتب التالية:

- أكابر: مجموعة قصصية نشرت سنة ١٩٥٦م.
- كان ما كان: مجموعة قصصية، تحتوي على ست قصص، وهي: ساعة الكوكو، سنتها الجديدة، العاقر، الذخيرة، سعادة البيك، شورتي، وقد صدرت سنة ١٩٤٩م.
- أبو بطة: مجموعة قصصية نشرت سنة ١٩٥٨م.
- هوامش: مجموعة قصصية نشرت سنة ١٩٦٥م.
- لقاء: قصة طويلة، نشرت سنة ١٩٤٦م.
- مرداد: قصة طويلة، نشرت سنة ١٩٥٢م.

وهذه الأعمال القصصية جزء من النتاج الأدبي لميخائيل نعيمة، والذي يحوي أعمالاً في الرواية، والمسرحية، والسيرة الذاتية، والشعر، والمقال، والنقد، والمذكرات، وغيرها.

ويحتوي هذا البحث على المباحث التالية:

المبحث الأول: ترجمة حياة ميخائيل نعيمة.

المبحث الثاني: أدب المهجر.

المبحث الثالث: تحليل "لقاء" و"مرداد منارة وميناء".

المبحث الرابع: الاتجاه الاجتماعي في "لقاء" و"مرداد منارة وميناء".

خاتمة البحث.

المبحث الأول: ترجمة حياة ميخائيل نعيمة

اسمه ميخائيل نعيمة، ولد في قرية بسكنتا،[١] في ١٧ تشرين الأول أكتوبر عام ١٨٨٩م، ودرس الابتدائية في القرية، ثم درس في دار المعلمين بمدينة الناصرة بفلسطين عام ١٩٠٢م، ثم درس الأدب الروسي في مدينة بولتافا الأوكرانية، عام ١٩٠٦- ١٩١١م، وسافر عام ١٩١٢م إلى الولايات المتحدة الأمريكية، ودرس الحقوق والآداب بجامعة واشنطن في سياتل، وبدأ كتاباته الأدبية منذ عام ١٩١٣م.

في عام ١٩٢٠ أسس نعيمة -مع جبران خليل جبران ومجموعة من الأدباء والكتّاب السوريين واللبنانيين- الرابطة القلمية في مدينة نيويورك.

عاد نعيمة إلى قريته بسكنتا عام ١٩٣٢م، وتوفي بها في ٢٢ فبراير عام ١٩٨٨م.

كان نعيمة مسيحي الديانة، ولقّب بِ (ناسك الشخروب)[٢]، وأدبه مليء بالمعرفة الإلهية، والزهد، ومواضيع الدين.

كتب نعيمة وألّف في العديد من الفنون الأدبية، مثل: القصة القصيرة، والرواية، والشعر، والمسرحية، والسيرة الذاتية، والمقال، والخطابة، وغيرها، وله كتابات بالإنجليزية، وأخرى مترجمة إلى العربية، وكان يتحدث اللغتين الإنجليزية والروسية أيضاً، وتزيد كتبه المؤلفة والمترجمة على ثلاثين كتابا.

المبحث الثاني: أدب المهجر

كل ما أنتجه الكتاب وأدباء العرب الذين هاجروا من سوريا ولبنان ومصر إلى الغرب في أمريكا الشمالية والجنوبية- في أواخر القرن التاسع عشر الميلادي وبداية القرن العشرين، وكان أغلبهم من المسيحيين.

وتعددت الأسباب وراء هجرة هؤلاء الأدباء بين أسباب سياسية واقتصادية ودينية، ومنها: تضييق الدولة العثمانية عليهم، وإثارتها للفتن في لبنان.[٣]

وكانت لهؤلاء الأدباء في المهجر جهود علمية وأدبية، مثل: الترجمة إلى العربية، والتأليف، وإنشاء الجمعيات الأدبية التي كانت تشرف على هذه الأعمال الأدبية، مثل: الرابطة القلمية في نيويورك، والعصبة الأندلسية في أمريكا الجنوبية.

الرابطة القلمية:[٤] تولدت فكرة الرابطة القلمية سنة ١٩١٦م، وظهرت إلى الوجود في ٢٠ أبريل سنة ١٩٢٠م، وهي جمعية أدبية أنشئت في نيويورك بأمريكا، على يد مجموعة من أدباء المهجر، ومنهم: جيران خليل، وميخائيل نعيمة، وعبد المسيح حداد، نسيب عريضة، رشيد أيوب، ندرة حداد، إيليا أبو ماضي.

وكان الهدف من هذه الرابطة أن تكون لأدباء المهجر رابطة، تشمل نشاطاتهم، وتوحد مساعيهم وجهودهم في سبيل نشر الأدب واللغة العربية.

وبموت عميد هذه الرابطة جبران خليل سنة ١٩٣٢م، ثم بموت رشيد ونسيب وندرة، ثم برجوع نعيمة إلى لبنان؛ انفكت الرابطة القلمية، وانتهت تقريباً.

العصبة الأندلسية:[٥] أقيمت في مدينة سان باولو في البرازيل، سنة ١٩٣٣م، ومن أعضائها: فوزي المعلوف، ورياض المعلوف، وشفيق المعلوف، وإلياس فرحات، والقروي، وشكر الله الجرّ. كما أقيمت بعض النوادي والجمعيات الأخرى، مثل: رابطة منيرفا، ورواق المعرّي، وجمعية الإخاء العربي في فنزويلا، والرابطة الأدبية في الأرجنتين.

المبحث الثالث: تحليل "لقاء" و"مرداد منارة وميناء".

لقاء: قصة طويلة طبعتها دار صادر بيروت سنة ١٩٤٦م، في (١١٢ صفحة)، ولها ترجمة إلى الفرنسية نشرت سنة ١٩٨٢م، وترجمت إلى الإنجليزية مع اثنتي عشرة قصة أخرى، سنة ١٩٥٧م من قبل المعهد الهندي للثقافة العالمية.

وتقع القصة في سبعة فصول، على النحو التالي:

١- الوديعة.[٦]
٢- الكمنجة الجانية.[٧]
٣- آراء.[٨]
٤- وادي العذارى.[٩]
٥- شهلبة ومهلبة.[١٠]
٦- من سجن إلى سجن.[١١]
٧- لقاء.[١٢]

ملخّص قصّة "لقاء":

"ليوناردو" موسيقار وعازف كمنجة، يأتي إلى بيت صديقه الراوي بعد غياب عام أو أكثر عندما التقيا آخر مرةٍ في حفل الافتتاح بفندق "المنارة" المملوك لسليم الكرّام، وكان عزفه على الكمنجة مؤثراً جداً، خاصة في الآنسة بهاء ابنة سليم الكرّام، التي أغمي عليها في آخر الحفل، بعد أن عزف ليوناردو لحنا سماه "لقاء"، والآن جاء ليوناردو بعد منتصف الليل في ليلةٍ من ليالي فصل الربيع، ليضع الكمنجة وديعةً عند صديقه، وأوصاه بوصيةٍ غريبةٍ، كما طلب ليوناردو من صديقه أن يكتم خبر مجيئه عن كل أحد. قائلاً له:

(قد أعود في أسبوعٍ، وقد لا أعود في سنةٍ، أما إذا انقضى الحولان ولم أرجع؛ فأرجوك أن تحرق الكمنجة في بيتها، وأن تجمع رمادها وتدفنه بين جذور صنوبرةٍ، على أن تكون صنوبرةً مسنةً ومنفردةً).(١٣)

فوعده الراوي بحفظها قائلاً:

(ليطمئن بالك، فستكون عندي بمثابة حدقة عيني).(١٤)

بعد ثلاثة أيام جاء سليم الكرّام إلى بيت صديقه الراوي واصطحبه إلى المدينة، وأخبره بالمحنة التي نزلت به، بغيبوبة بهاء منذ أربعة أيام، بعد استماعها إلى عزف ليونارد على الكمنجة وهو يعزف لحن "لقاء"، في حفل ميلادها، ويعتقد سليم الكرّام أن ابنته مسحورة، سحرها ليوناردو بالموسيقى، وصل الراوي لعيادة بهاء، وحاول أن ينفض الجموع المتوافدة على غرفتها، ودار حوار في الغرفة بين الراوي والمدعي العام وفؤاد خطيب بهاء، كما حضر الطبيب لمعاينتها، ثم التقى الراوي بوداد شقيقة الكرّام، وهي تعتقد بأن روح ليوناردو وروح بهاء صعدتا إلى السماء، ولا وجود لهما هنا إلا بالجسد فقط، كما أخبرت الراوي بأن ليوناردو تربى صغيراً عند حماتها.

استمرت غيبوبة بهاء حتى دخل فصل الصيف، ومرضت أمها نور الهدى حزناً على ابنتها، ثم ماتت، وأصبح الراوي يتردد على وادي العذارى وعين الدموع، ليلتقي هناك بناطور المنطقة أبو منصور، وهو يصيد الحجل، ويروي أسطورة عن سبب تسمية الوادي بوادي العذارى، وتسمية العين بِـ "عين الدموع"، كما يزور الراوي مغارة في أعلى الوادي ويجد بها

ثعلبين نائمين، وشبابة (ناي) في رف في المغارة، وفي زيارته الثانية للمغارة يجد الناي ملقىً على الأرض ويجد رجلاً نائماً، ويتفاجأ بأنه ليوناردو، ويحكي للراوي بأنه كان راعي أغنامٍ يعزف على الناي في هذا الوادي، في فترة من فترات حياته، وعشقته ثلاث شقيقات آنذاك، كما قدم إليه صديقيه الثعلبين شهلبة ومهلبة، وأخبره بأن بهاء هي إحدى الفتيات اللاتي كن معه في فترة حياته الأولى، ثم غادر الراوي المغارة، ولاحقا قبضت الشرطة على ليوناردو بوشايةٍ من الصياد أبي منصور الذي نال جائزة أيضاً من سليم الكرّام، وقامت الشرطة بوضع كمية من النقود في جيب ليوناردو؛ لاتهامه بالسرقة من سليم الكرّام، كما وضعوا في جيبه جوازاً مزوراً؛ لاتهامه بمحاولة الهرب خارج البلاد بطريقة غير قانونية.

أشارت السيدة وداد على الراوي بأن يقوم بتهريب ليوناردو من السجن، ومن ثم ستقوم هي بتهريبه خارج البلاد، ولكن الراوي لم يتشجع للفكرة، فناولته وداد رسالة من ليوناردو يطلب من الراوي أن يأتيه بالكمنجة في السجن، فحملها إليه وقابله في السجن، وأخرجه لمدة وجيزة بكفالة منه، ليلتقي ببهاء مساءً، وبالفعل نجح الراوي في توطئة الأمور وتهدئة الأوضاع ورتب له اللقاء ببهاء بعد استئذان أبيها وإقناعه بصعوبة ومشقة، وعزف ليوناردو على كمنجته فأفاقت بهاء ورجعت إلى الحياة، والتقت بأبيها الذي فرح بها، وسامح ليوناردو، ومع هذا اللقاء ماتت بهاء، ومات ليوناردو، ودفنت الكمنجة تحت صنوبرة مسنة منفردة.

الشخصيات في القصة:

١. **الراوي:** وهو صديق لسليم الكرّام، ويسكن في بيت على الجبل، يبعد عن المدينة نحو سبعين ميلاً، وهو في الخمسين من عمره.

٢. **ليوناردو**: عازف كمنجة، عمره دون الثلاثين سنة، من أب لبناني وأم إيطالية، ويقال: بل وجد لقيطا في المقبرة، درس الموسيقى في إيطاليا، وعاد إلى لبنان بعد موت والديه، ومهنته العزف على الكمنجة، التي يعشقها، ويعدّها روحه.

٣. **سليم الكرّام:** صاحب فندق "المنارة" وهو رجل ثري، وصاحب جاه ونفوذ.

٤. **بهاء:** ابنة سليم الكرّام، وحيدة والديها، في العشرين من عمرها تقريباً، وهي فتاة جميلة وذكية.

٥. فؤاد بن جاهد الفهداوي: خطيب بهاء، شابٌ في الثلاثين من العمر، ويبدو تأثره بالفرنسية التي يخلطها بالعربية في كلامه.

٦. نور الهدى: أم بهاء، وزوجة سليم الكرّام.

٧. أبو طقّة: شيخ ينظر في البلور، ويخبر عن الغائب.

٨. وداد: شقيقة سليم الكرّام، أرملة، تعيش مع ابنها وابنتها القاصرين في القرية، وهي غريبة الفكر والأطوار، كان زوجها شاباً إيطاليا يعزف البيانو، وهي أيضاً معلمة للبيانو.

٩. المدّعي العام: جاء للتحقيق في غيبوبة بهاء، وكان يطمح سابقاً للزواج من بهاء، قبل خطبتها من فؤاد.

١٠. رجل الدين: يحاول طمأنة الأسرة، وينصحهم بالرضا بقضاء الله.

١١. أبو منصور: ناطور المنطقة، صياد ماهر، وهو يشي بليوناردو فتقبض عليه الشرطة.

المكان في القصّة: تدور أحداث القصة في عدة أماكن، مفتوحة ومغلقة، منها:

١. بيت الراوي: الذي يلتقي فيه ليوناردو بالراوي، ويستودعه على الكمنجة، ويقع في منطقة جبلية، ويبعد عن المدينة سبعين ميلا.

٢. وادي العذارى: وادي جميل وأخدود عميق، تصطف على جانبيه الصخور الشاهقة، تتجمع فيه مياه الأمطار، وفيه عين تسمى عين الدموع، وفيه مغارة.

٣. دار سليم الكرّام: وهي دارٌ فخمة البناء والأثاث والموقع، مطلةٌ على البحر والجبل، فوق ربوةٍ مليئة بالأشجار والأعشاب والنباتات.

٤. فندق المنارة: يمتلكه سليم الكرّام، وقد أقيم فيه حفل الافتتاح، ثم حفل عيد ميلاد بهاء، وكان ليوناردو موسيقيا في هذا الفندق، يعزف على الكمنجة.

٥. السجن: يقع في المدينة، وقد كان ليوناردو نزيلاً فيه، وجاء للقاءه الراوي، في زنزانته الضيقة المظلمة، فاسدة الهواء، ليس فيها سوى حصير رث مفروش على الاسمنت، وكان ليوناردو يتعرض فيه للجلد والتعذيب.

الزمان في القصّة: لا يتحدد من القصة تاريخ وقوعها بالكمال والتمام، لكن عبارة واحدة في القصة أثبتت وقوعها بعد سنة ١٩٠٠م، حيث يقول المدعي العام:

(بل نحن في القرن العشرين قرن النور والتمدن).[١٥]

والأزمنة الداخلية لأحداث القصة تتمثل في الآتي:

١. **فصل الربيع:** حين أصيبت بهاء بالغيبوبة في حفل عيد ميلادها.

٢. **فصل الصيف:** لما ماتت نور الهدى أم بهاء.

٣. **بعد منتصف الليل:** حين جاء ليوناردو ليضع وديعته الكمنجة عند الراوي.

٤. **أول النهار:** حين جاء سليم الكرّام إلى بيت صديقه الراوي ليصطحبه إلى المدينة.

٥. **الصباح:** عندما جاء سليم الكرّام إلى السجن للقاء ليوناردو.

٦. **المساء:** حين ذهب ليوناردو لعيادة بهاء في بيتها، وإفاقتها من غيبوبتها، ولقائهما.

٧. **ساعة متأخرة من الليل:** لما جاء الراوي لعيادة بهاء، والتقى بخطيبها وبالمدعي العام وبرجل الدين، وبالسيدة وداد شقيقة سليم الكرّام.

"مرداد منارة وميناء":[١٦] طبعت الرواية دار صادر بيروت سنة ١٩٤٨م، وأصل الكتاب بالإنجليزية: (The book of Mirdad a lighthouse and a haven)، ثم ترجمه نعيمة إلى العربية، وطبع الكتاب سنة ١٩٥٢م، ويقع في ٣٠٠ صفحة، ويحتوي الكتاب على سبعة وثلاثين فصلا، كما ترجم إلى أكثر من عشر لغات عالمية، وحوّل إلى مسرحية باللغة الهندية.

الزمان في مرداد: تبدأ هذه القصة مع نهاية الطوفان في عهد نوح عليه السلام.

المكان في مرداد: من غير المحدد أين يقع المذبح والفلك؟! لكنه فوق قمة جبل صعب المرتقى، يرتفع فوق سطح البحر آلاف الأمتار، ويوجد شِعبان للوصول إلى الفك، من جهة الجنوب وآخر من جهة الشمال.

الشخصيات في مرداد: الرفاق التسعة هم:

– مرداد: الخادم، وكان معلماً لنوح، وركب معه السفينة في الطوفان، ولم يعلم به أحد غير نوح، وقد أنذر مرداد بطوفان النار بعد طوفان الماء في عهد نوح عليه السلام.

– شمادم: المتقدم في الفلك، ورئيس رفاق الفلك، وهو راهب ورئيس الكنيسة، يكثر فساده وطغيانه، ويظلم الناس، فتحل به اللعنة والسخط من مرداد، فيسجنه مائة وخمسين عاماً، ثم يمسخه صخرةً في أعلى قمة المذبح.

– نروندا: أصغر رفاق الفلك، وهو راوي كتاب مرداد.

– ميكايّون، أبيمار، ميكاستر، بنون، زمورا، همبال: رفاق الفلك.

ملخّص رواية "مرداد":

(في جبال الآس واللبان، وعلى القمة الشاهقة المعروفة بـ(قمة المذبح)، لا تزال بقايا هيكل مهجور، متهدم، يُدعى "الفُلك"، أما تاريخه فقد غاب في لجج سحيقة من القِدم تنتهي في عرف التقاليد إلى الطوفان. كثيرة هي الأساطير التي حاكتها الأيام حول الفُلك، لكن الأسطورة الأكثر رواجاً هي التي سمعتها مراراً من أفواه القاطنين في سفح قمة المذبح، حيث أتيح لي ذات سنة أن أمضي صيفاً بكامله. وها أنا أرويها كما سمعتها..).(١٧)

بهذا التمهيد البديع يقدّم ميخائيل نعيمة للأسطورة المدهشة، التي جاءت مفتتحاً مثيراً للخيال لكتابه المسمى (مرداد)، ولا أشك في أن نعيمة كتبه متأثراً بكتاب (النبي) لرفيقه جبران خليل جبران. وقد اتصف كتاب (مرداد) بقيم روحانية، وملامسة لمشكلات الوجود الإنساني، ومن تدفق في الأسلوب ووضوح في الومضات الروحية وتنوع في المواقف، واسترسال في الاستزادة من الاستنارة والتحام بالوعي الكوني.

وهو كتاب نادر في إصلاح الروح وتهذيب النفس الإنسانية، وتحريرها من التلوث الذي عَمّ وطَمّ وكاد يفسد حياة الإنسان، ويقطع آخر شعرة تربطه بجنسه البشري، بعد أن انتشرت الحروب واتسع نطاقها وتمادى نزيف الدم.

أما اسم الكتاب؛ فيعود إلى صاحبه المتخيل (مرداد) الذي ألقى محتوياته كمواعظ قدسية على رفاقه من رهبان (الفُلك) وحراسه، وأوصى أن يُعطى إلى أول إنسان يتمكن من تحدي عقبات الصعود إلى حيث بقايا هيكل الفُلك، الذي أبحر عليه نوح عليه السلام في زمن الطوفان. ولا أنسى هنا الإشارة إلى أن عنوان كتاب ميخائيل نعيمة يحمل إضافة مهمة بحروف صغيرة تجعل العنوان على النحو الآتي: (مرداد.. منارة.. وميناء)، وهذه الإضافة جديرة أن

تأخذ مكانها الدلالي لكونها تكشف عن الهدف الذي توخّى صاحبه أن يصل إلى القارئ ليستنير من ناحية، وليبدأ الإبحار نحو المعرفة بعد أن يكون قد تخطّى مثالب الزمان والمكان.

بعد الطوفان أمر نوح ابنه سام أن يبني فوق قمة الجبل مذبحاً، وتسمى القمة قمة المذبح، وأن يبني حول المذبح هيكلاً للعبادة، ويسمى الفلك، ويتناوب عليه تسعة المختارين يسمون رفاق الفلك، يعبدون الله، ولا يخرجون من الفلك، كلما مات منهم واحد بعث الله مكانه آخر.

ولما مات نوح دفن تحت المذبح في الفلك، وتعاقب على الفلك رجال كثيرون عدة قرون، حتى استولى على الفلك رجال فاسدون يجمعون الأموال، ويظلمون الناس، ومات منهم واحد، فحضر رجل ليحل محله، ولكن رئيس الفلك شمادم رفض أن يقبله عضوا في الفلك، ثم رضي به خادماً في آخر الأمر، فبقي سبع سنوات يخدم رفاق الفلك، إلى أن أطاعه الرفاق السبعة، واستفادوا من حكمته، وبقي رئيسهم يعاديه، ففرق في سنتين كل ماجمعه رفاق الفلك من الأموال، وفي السنة الثالثة هجر الرفاق الثمانية الفلك، وبقي رئيسه مائة وخمسين عاماً ملعوناً مسحوراً مربوطاً في الفلك، إلى أن جاء الراوي وسلمه رئيس الفلك الكتاب الذي تركه عند الخادم، ويسمى كتاب مرداد، وفيه الدعوة إلى الخير والتوحيد ومعرفة الله، وتحول رئيس الفلك صخرة على باب الفلك، وكانت رحلة الراوي في الصعود إلى القمة مليئة بالأهوال والفظائع المخيفة، وتعرض فيها لمقابلة الجن عدة مرات.

يتألف كتاب (مرداد) من سبعة وثلاثين فصلاً ذات مستوى عالٍ في الرؤية والأسلوب والتعبير عن الموقف الإنساني والروحاني.. وفي السطور السابقة إشارة إلى مدخل الكتاب، وما احتوى عليه ذلك المدخل من وقائع وأساطير مدهشة تشد إليها القارئ وتجعله يواصل القراءة بإحساس منبهر وأنفاس متقطعة، وهو يتابع مغامرة الإنسان الذي اختار أن يتحدى الأخطار ويصعد إلى قمة جبل الثلج، حيث بقايا (الفُلك) أو سفينة نوح، ويكون من حظه، بعد رحلة لا حدود لمشقاتها، أن يعثر على كتاب (مرداد)، وأن يعود به ليطرحه بين أيدي الكائنات البشرية لتجد فيه زاداً مختلفاً عن كل زاد، وحكمة تضيء لمن تاهت قدماه في الطريق الشائك المليء بالصخور المدببة والأشواك التي لا تجرح الأقدام، بل تُدمي الروح أيضاً.

لم يكن صعود الجبل صعباً وعسيراً فحسب، بل كان ضرباً من المستحيل لما امتلأ به من المفاجآت المثيرة الغامضة، ولما قابله من أشخاص هم إلى الأساطير أقرب منهم إلى الناس، الذين نجدهم في حياتنا العادية ووسط طرق سوية لا منحدرات فيها ولا هاويات. وكان أول من التقاه، في ذلك المنحدر الصعب، راعياً شاباً يقود قطيعاً من الماعز تتسلق الجبل، وكأنها تمشي على سجادة ناعمة، وأول ما فعله الراعي أن أخذ ما كان يحمله الرجل من خبز وماء، وكأنه يقول له:

(إن في لحمك وحده ما يكفيك طعاماً وفي دمك وحده ما يكفيك شراباً).(١٨)

ثم ودّعه وهو يترنم بهذه الأبيات التي تدعو إلى الزهد والتحرر من كل ما يمتلك الإنسان ويحط من قدره:(١٩)

قَلّ ما أملكه

قلّ ما يملكني

زاد ما أملكه

زاد ما يملكني

قَلّ ما يملكني

زاد قدري

زاد ما يملكني

قلّ قدري

رب يسرٍ كان عسراً

رب عسرٍ كان يسراً

وبعد إغفاءة لا يدري كم طالت، دقيقة أم دهراً، يرى أمامه فتاة في يدها مصباح ضئيل النور، وكان وجهها مشرقاً بجمال فائق لا حد له، وبالقرب منها عجوز حوت من الشناعة على قدر ما حملت الفتاة من الحُسن، ومضت هذه العجوز تجرده من ثيابه تنزعها عن جسده ثوباً ثوباً، إلى أن تركته ولا يستره سوى جلده وكأنها تنشد:(٢٠)

الحب لا يُعرّى

والنور لا يُعار

أحبِبْ ترَ ما لا يُرى

آثِر وسر أنىّ تشاء

ولا تقف المفاجأة عند هذين المشهدين؛ فقد فوجئ بعجوزين يبلغان من العمر أقصاه، وهما يطلبان إليه التخلي عن الكهف الذي احتمى به، بعد أن يسلباه عصاه، وهما يرغبان في قضاء ليلة عرسهما في هذا الكهف المطلّ على الهاوية، وقد أخذا يترنمان بهذه الأبيات:(٢١)

من سار من غير عصا

وقي العثار

من عاف داراً عاش في

كل الديار

واهاً لنا أسرى العصي

واهاً لنا أسرى البيوت

واهاً لنا.. واهاً لنا

هكذا تتوالى عليه المفاجآت والدروس، وهو شبه غائب عن الوجود إلى أن توقظه يدا حارس الفُلك، الذي أخبره أنه كان في انتظاره منذ سنوات ليسلمه كتاب (مرداد) حسب وصية هذا الأخير؛ لكي يعمل على نشره بين البشر، الذين هم أحوج ما يكونون إليه ليسترجعوا ما غاب من إنسانيتهم، وينزعوا الحُجب الكثيفة من أرواحهم، ويستعيدوا قدراً من السكينة المفقودة في حياتهم، التي تزداد بؤساً واضطراباً وتتهددها النزاعات والحروب.

ومن الفصل الحادي عشر فقرة ينادي فيها (مرداد) إلى المحبة ونبذ الكراهية، وهي:

(من كان له عدو واحد كان بلا صديق واحد.. إذ كيف للقلب الذي تسكنه العداوة أن يكون ميناءً أميناً للصداقة؟ كيف لمن في قلبه بغضاء أن يعرف نشوة المحبة؟ فلو كان لكم أن تغذّوا جميع المخلوقات بعصير المحبة ما خلا دويدة واحدة حقيرة، لكان لكم في تلك الدويدة وحدها ما ينغّص عليكم حياتكم على قدر كرهكم لتلك الدويدة. لأنكم ما أحببتم إنساناً أو شيئاً إلاَّ أحببتم فيه ذواتكم.. ولا كرهتم إنساناً إلاَّ كرهتم فيه ذواتكم. كل ما تحبون مرتبط بكل ما تكرهون ارتباطاً أوثق من ارتباط صدوركم بظهوركم. فلو صَدقتم مع أنفسكم لكان عليكم أن تحبوا ما تكرهون وما يكرهكم قبل أن تحبوا ما تحبون ويحبكم).(٢٢)

المبحث الرابع: الاتجاه الاجتماعي في "لقاء" و"مرداد منارة وميناء".

أولاً– الاتجاه الاجتماعي في لقاء: جمعت الكثير من الموضوعات الاجتماعية، أبرزها:(٢٣)

– خلق حفظ الوديعة وصيانة العهد وحفظ السرّ عند العرب قديما وحديثاً، وكذلك الإسلام حث على هذه الأخلاق، بحفظ الودائع والأمانات وردها إلى أهلها، وبمراعاة العهود والمواثيق وصيانتها، والوفاء بها، وقد سمى نعيمة الفصل الأول لهذه القصة بِـ "وديعة"، وتتمثل هذه المعاني في شخصيتين من شخصيات القصة، وهما: الراوي حين حفظ وديعة ليوناردو، وتستّر عليه حين قابله في وادي العذارى، وزاره في السجن، واصطحبه إلى دار سليم الكرّام، وكذلك السيدة وداد التي تسترت على أسرار ليوناردو، وحاولت مساعدته وإنقاذه وتهريبه من السجن.

– الصداقة الحقيقية، وتتمثل في مساهمة الراوي بحل مشكلة صديقه سليم الكرّام بشتى الوسائل والسبل، وكيف وقف معه في محنته ليصل إلى نهاية اللغز من غير أن يظلم أحداً.

– تناولت القصة تأثير السحر في الإنسان والحيوان والطبيعة، ولكن للسحر أنواع، ومن أنواعه: سحر الموسيقى وعزف الكمنجة والناي، وسحر اللحن "لقاء" الذي يغيب البشر في غيبوبة عن العالم، ويجعل الثعالب تتراقص أمامها.

– الفساد المستشري في المحامين والشرطة، فالمحامي أشار على سليم الكرّام أن يستصدر من المحكمة مذكرة توقيف بحق ليوناردو متهماً إياه بالسرقة، كما اتفق مع الشرطة على أن تضع في جيب ليوناردو جواز سفر مزور وكمية من النقود حال القبض عليه؛ لاتهامه بالتزوير والسرقة.

– في المصائب تتضح نوايا الناس وخفايا أفئدتهم، ففي زيارة الناس لعيادة بهاء تباينت مقاصدهم بين المواساة، والاستفسار، وإشباع نهم القيل والقال، والشماتة بالقلب.

– التصادم الفكري في المجتمع بين العلمانيين وأتباع الديانات، فمثلا: في مسألة التسليم بوجود السحر وتأثيره ينفي المدعي العام ذلك، وبأن القرن العشرين لا يأبه بالسحر ولا يعترف به القانون، بينما يرى رجل الدين وجود السحر، ومعاقبة الله لمن يتعاطاه بنار جهنم.

– وكذلك في مسألة الذهاب للعرافين والكهان، يستهزئ المدعي العام بالشاب فؤاد خطيب بهاء، الذي ذهب إلى الشيخ أبو طقّة، الذي نظر في البلور، فوصف له ليوناردو أدق الوصف،

رغم أنه لم يره أبداً، وأخبر فؤاد عن مكان الكمنجة على رف في غرفة مظلمة في بيت في الجبل، وهذا الوصف يطابق بيت الراوي الذي توجد فيه الكمنجة.

– السيدة وداد هي الأخت التي تتنازل عن نصيبها في الإرث لأخيها سليم الكرّام، وهي حصةٌ لا يستهان بها، ومع ذلك كان سليم يخجل من الاعتراف بها شقيقة أمام الناس؛ لأنها تزوجت من شاب إيطالي فقير.

– كراهية الصيد الجائر، عندما لا يكون الإنسان محتاجاً إليه، بل يقوم به، إشباعاً لنهم الصيد، فالراوي يرفض قبول الحجل الذي صاده الصياد أبو منصور، ويقول له بأنه يتمتع بمنظره حياً.

١. يتجلى مظهر التأثر بالثقافة الغربية في موقفين: تحدث الشاب فؤاد خطيب بهاء بالفرنسية بين العرب في أرض عربية، وفي اعتراض سليم على زواج أخته من شاب إيطالي فقير.[٢٤]

ثانياً– الاتجاه الاجتماعي في قصة "مرداد منارة وميناء":

تتحدث هذه القصة عن عدة موضوعات مهمة، منها:[٢٥]

١. الأخوة الإنسانية والسلام.

٢. التوحيد والمعرفة الإلهية.

٣. الزهد في الدنيا، وترك الإسراف في شهوات النفس والجسد.

٤. ترك تجميع الثروات وتكديسها، والدعوة إلى الإنفاق والبذل، ومشاركة المال والثروة مع الفقراء.

٥. استخدام السلطة الدينية في الفساد والثراء غير المشروع، واستخدام السلطة في ظلم الناس وغصب حقوقهم.

٦. الوصول إلى الله وقيادة الإنسانية يحتاج إلى الإخلاص والإيثار، والعمل الجاد.

نتائج البحث: بعد إتمام هذا البحث توصلت إلى النتائج التالية:

١. ميخائيل نعيمة مفكر وأديب، اهتم في أدبه عموماً بموضوعات الأخوة الإنسانية والسلام، بغض النظر عن الأديان واللون والعرق.

٢. اهتم ميخائيل نعيمة كثيراً بالموضوعات الاجتماعية، على مختلف المستويات، في الأسرة بين الزوجين، وبين الأولاد والوالدين، وبين الأقارب، وفي المجتمع بصورة عامة.

٣. اهتم ميخائيل نعيمة في أدبه القصصي بمدح الأخلاق الإنسانية الفاضلة، وذمّ الصفات والسلوكيات الإنسانية السيئة.

٤. ميخائيل نعيمة يحترم الأديان السماوية، وكتبه مليئة بالهدي والإرشاد من الكتب المقدسة الإنجيل والتوراة والقرآن الكريم.

(References)

(١) قرية في قضاء المتن، محافظة جبل لبنان، وتبعد عن العاصمة بيروت مسافة ٤٠ كم.

(٢) لقب "ناسك الشخروب" خلعه عليه الكاتب توفيق يوسف عواد في مقالة كتبها عنه في صحيفة "البرق" عام ١٩٣٢م.

(٣) عبد الدائم، د. صابر: أدب المهجر، ص: ١٣-١٤، دار المعارف، ط١/ ١٩٩٣م.

ʿbd Al-Dāʾim, Dr. Ṣāber: Adab Al-Mahǧar, P: 13-14.

(٤) المصدر نفسه، ص: ١٨.

Ibid. P: 18

(٥) المصدر نفسه، ص: ٢٢.

Ibid. P: 22.

(٦) نعيمة، ميخائيل: لقاء، ص: ٧، مؤسسة نوفل – بيروت لبنان، ط١٢/ ١٩٩٣م.

Neʿīmaï, Mīḫāʾīl: Leqāʾ, P: 7.

(٧) المصدر نفسه، ص: ١٩.

Ibid. P: 19.

(٨) المصدر نفسه، ص: ٣٥.

Ibid. P: 35.

(٩) المصدر نفسه، ص: ٥٠.

Ibid. P: 50.

(١٠) المصدر نفسه، ص: ٦٥.

Ibid. P: 65.

(١١) المصدر نفسه، ص: ٨٢.

Ibid. P: 82.

(١٢) المصدر نفسه، ص: ٩٩.

Ibid. P: 99.

(١٣) المصدر نفسه، ص: ١٦.

Ibid. P: 16.

(١٤) المصدر نفسه، ص: ١٧.

Ibid. P: 17.

(١٥) المصدر نفسه، ص: ٣٨.

Ibid. P: 38.

(١٦) نعيمة، ميخائيل: مرداد منارة وميناء، ص: ٩-٢٨٢، مكتبة صادر – بيروت، ١٩٥٢م.

Neʿīmẗ, Mīḫāʾīl: Merdād Manāraẗ Ūa Mīnāʾ, P: 9 - 282.

(١٧) المصدر نفسه، ص: ٩.

Ibid. P: 9.

(١٨) المصدر نفسه، ص: ١٨.

Ibid. P: 18.

(١٩) المصدر نفسه، ص: ٢٢.

Ibid. P: 22.

(٢٠) المصدر نفسه، ص: ٢٥.

Ibid. P: 25.

(٢١) المصدر نفسه، ص: ٢٤.

Ibid. P: 24.

(٢٢) المصدر نفسه، ص: ٩٦.

Ibid. P: 96.

(٢٣) لقاء، ص: ٧-١١٣.

Leqāʾ, P: 7 - 113.

(٢٤) المصدر نفسه، ص: ٧.

Ibid. P: 7.

(٢٥) مرداد منارة وميناء، ص: ٩-٢٨٢.

Merdād Manāraẗ Ūa Mīnāʾ, P: 9 - 282.